نهضـــة المرأة المصرية
رسالة وجوابها

رسالة الآنسة أمينة

سيدى الأستاذ فليكس فارس : —

دفعنى إعجابى الشديد بمقالتكم فى « الرسالة » الى الأقدام على الكتابة لأقدم لكم خالص شكرى وشكر زميلاتى على ما تفضلتم به (على الجنس الضعيف) من نصائح ثمينة ، ودرس عميق فى سبيل رفع مستوى المرأة المصرية

ومع أننى يا سيدى أومن بكل كلمة كتبتها تحت عنوان : «نهضة المرأة المصرية» وواثقة بأنكم درستم الموضوع من جميع نواحيه ، فانى أرجو أن تتفضلوا بالسماح لى أن أضيف مشهدين آخرين « هما مقتل الأمة ، وعلة دمارها » :

الفتاة المصرية الحديثة ضحية استبداد أهلها وضحية ضلال الرجل وغروره

المشهد الأول : أسرة مؤلفة من أب وأم وبنين وبنات ، تثقفت الفتاة منهن أحسن ثقافة ، وتحلت بأجل ما فى الأخلاق الغربية والشرقية ، وبعد ذلك تقبر فى بيت ذويها حيث تبقى مسلوبة الحرية ، الى أن يمن الله عليها بمن يخطبها من أهلها فتصبح زوجة لمجهول « نكرة ضمت الى نكرة ، فتبدأ المآسى . . . . » فهى فاقدة حرية التصرف فى مسألة اختيار زوجها ، كما أنها مضطرة الى التسليم بمن يختار لها بعلاً كى تتخلص مما هى فيه من...

سيدى : إننى أشفق على نفسى وعليكم من ذكر بعض ما تتحمله الفتاة المصرية من آلام نفسية ومادية وهى بين أهلها . فهى دائماً فى خلاف مستمر لما بينها وبينهم من تفاوت فى العلم والتفكير والرقى ، وتعسة مع زوجها النكرة لما بينها وبينه من تنافر الأخلاق والطباع . إن الأمة المصرية اليوم فى دور انتقال من القديم الى الجديد ، ومن الاستبداد الى الحرية فى حياتها السياسية والعلمية والأخلاقية والنفسية ؛ ومن الصعب جداً التوفيق بين القديم والجديد ، ولا بد لكل دور انتقال فى حياة الشعوب من ضحية — والفتاة المصرية اليوم هى ضحية هذا التطور

المشهد الثانى : ينقسم الشباب المصرى الى قسمين : قسم لا يفكر فى الزواج مطلقاً بل يفضل أن « يتلاقى بالفتاة التى تركها وهى مثقلة بالأوصاب من أن يعيش واياها مستنيراً بأنوار شمس الله » . وقسم يتطلب فى الفتاة المستحيل من الكمال والجمال والمال ، وأهمها المال ، فيجعل نصب عينه الزواج كصفقة مالية فيبحث عنها أين كانت ؛ وزواج أساسه المال هو بالطبع بدء حياة الشقاء للزوجين

أراك يا سيدى بالرغم من دفاعك عن المرأة ومعالجة مسألتها معالجة صحيحة قويمة تلومها لنزولها إلى ميدان العمل . اسمح لى يا سيدى أن أقول إن المرأة المصرية الحديثة لم تتمرد مطلقاً على وظيفتها الطبيعية . فانها بالرغم عن ثورة نساء العالم الغربى المتمدين ومطالبتهن بالمساواة فان المرأة المصرية ما زالت هادئة وادعة لا تهمها إلا شؤون بيتها وأولادها أو علمها وثقافتها — قانعة بكل ما يأتيها الزمان من سعادة أو شقاء . تقول يا سيدى « إن المرأة المترجلة الضلول ليست هى من ترجو لأحياء الأسرة وخلق الأمة الحية » وأظنك تقصد بالمترجلة المرأة العاملة . إن المرأة يا سيدى لا تنزل إلى ميدان العمل إلا إذا ألزمتها الحاجة القصوى إلى ذلك . أؤكد ذلك باختبار شخصى كما أننى شاهدت حالات كثيرة كان الدافع فيها لخروج الفتاة إلى العمل الاضطرار

إن الفتاة المصرية هى الوحيدة التى لم تفقد أنوثتها ورقتها بالعمل ؛ فهى وإن اضطرت إلى العمل تحن دائماً إلى تكوين بيتها والاهتمام بزوج مخلص يعولها وإيجاد أطفال يصلحون لتكوين الأمة القوية أجساماً سليمة عقولاً

إنك يا سيدى تنكر على المرأة العمل ولكنك إذا بحثت فى سبب ذلك تجد أن الرجل هو الذى دفعها إليه . فهو يهملها ، أى يضرب عن الزواج ، فتضطر إلى العمل لتمضية وقتها الطويل الممل ، أو لإلكسب عيشها ، وربما كانت تعول أسرة بأسرها . كل امرأة متهتكة أو عاملة هى صنيعة الرجل لأنه هو الذى حرمها العيش وسرّ حياتها فدفعها إلى ما هى فيه من بؤس

وأخيراً تقول يا سيدى : « ليس كالمرأة من يصلح المرأة أو يفسدها ... » وتقول : « ليس كالرجل من يصلح المرأة

أو يفسدها . فهو بيده كل شيء . هو القادر أن يصونها في بيته فتصير له زوجة صالحة شريكة حياته وأم أولاده . كما لو كان أباً أو أخاً يمكنه أن يعول ابنته أو أخته فيعاملها بحنو ومحبة حتى لا يضطرها إلى السعي وراء عيشها . الفتاة المصرية الحديثة وديعة وضعيفة جداً ، فهي تهاب العمل وتأباه ولا تلجأ إليه إلا مرغمة . تجد يا سيدي اليوم ألوفاً من الفتيات المصريات المتعلمات الراقيات قعيدات البيوت ؛ فماذا يفعلن وكيف يضمن ساعاتهن التي تبدو لهن أبدية ؟ ؟ لذا تجدهن حيارى لا يعرفن كيف يتصرفن ليكسبن قلب الرجل . فان هن اشتغلن قيل عنهن مسترجلات غير صالحات للزواج ، وإن هن مكثن في منازلهن ذقن من أهلهن كل أنواع التقريع والهوان لأنهن بائرات . فكيف الحل وأين المصير ؟ »

عفواً يا سيدي ومعذرة ، فما دعاني الى كتابة هذا إلا يقيني من إخلاصكم في سبيل الخير العام لخدمة المرأة المصرية الحديثة . وما هذه إلا نفثة من نفثات حارة مكتومة

(قصر الدوبارة) أمينة

جواب الأستاذ فارس

سيدتي الآنسة الناهضة :

أشكر لك شكرك لما أدليت به من آراء في مبحث المرأة ، وأعجب فيك بعاطفة تنير وفكر يحلل ما يراه ظلماً وارهاقاً . وقد حقّ على كل عربي يتوق إلى إحياء حضارته أن ينحني إجلالاً أمام الرجولة في خُلق فتاة قومه ، كما حقّ له أن يرد جموح الترجّل في حياتها الاجتماعية

إن ما فاتني ذكره في مقالي (نهضة المرأة) من محن الفتاة المصرية خاصة والعربية عامة لم يفته إيلامي وإيلام كل مفكر وطني لا تفتح الحياة جرحاً في كيان قومه دون أن يشعر بذلك الجرح في صميم فؤاده . وما اصطدام الفتاة بمن وبما حولها ، وتعارضُ حياتها وما استقرّ فيها من الحوافز شعوراً وتفكيراً إلا من أعمق هذه الجراح وأخطرها عاقبة وأصدقها إنذارا

إن ما تلفتينني اليه ، أيتها الآنسة الفاضلة ، يتناول جزءا من بحث كامل في حالة المرأة أوردته في فصل (منابت الأطفال) في كتاب رسالة العنبر إلى الشرق العربي ، ولكنتُ أكتفي بهذه الاشارة لولا أنني أعلم أن كل معضلة اجتماعية لها مناقذها العديدة يتطلع اليها المفكرون كلٌ من موقفه الخاص ، فلا يمكن للحلول التي يوردها أي كاتب اجمالاً في أية قضية اجتماعية أن تشمل جميع دقائقها وأنواعها ، لذلك رأيت من واجبي الوقوف معك أمام ما تبين لك من أعراض الداء لأحاول معالجته جهدي

إنك ترين أولاً أن الفتاة المصرية ضحيةُ استبداد أهلها

فلماذا يمكن أن يقع الخلافُ بين فتاةٍ وأهلها ؟

إنه إن وقع على طُرق المعيشة في البيت ، من حيث المأكل والملبس والرياش ، فلا أحسب الأهل معارضين ابنتهم في كل تحسين تريد إدخاله ، إذا هي لم تتجاوز حدود طاقة العائل ، وليست المسألة في هذا الأمر من قبيل اصطدام الجديد بالقديم ، بل هي مسألة تقدير بين ما يمكن الحصول عليه والطاقة المتوفرة . وللفتاة الرأي وليس لها الحكم في هذا ، ولا أعتقد أن في العالم آباء وأمهات يضنون على فلذة أكبادهم بما يرونه ضرورياً . فاذا كان هنالك أبٌ يجود على نفسه ويحرم رعيته ، وهي وديعةُ الله بين يديه ، فمثل هذا الأب مسخٌ لا يصح أن يتُخذ أساساً لبحثٍ اجتماعي

لقد لاح لك ، يا سيدتي ، أن سوء التفاهم ناشئٌ من التطور ، وأن الفتاة هي الضحية بين رقيها وجمود أهلها ، أما أنا فيلوح لي أن في وصف كل قديم بالجمود ، ووصف كل جديد بالرقي على الاطلاق خطأ قد يكون هو السبب في ازورار الأبناء عن الآباء في هذا العصر وفي كل عصر ، فالحقيقة التي يقع الخلاف عليها إنما هي حقيقة لا دخل للقديم والجديد فيها ، لأن الحقيقة قد تكون في أحدهما دون الآخر أو في كليهما ، ولا يمكن للباحث أن يقف في جنب الأبناء على كل حال آخذا برقيهم كبرهان على جمود آبائهم . وكثيراً ما تغتر الشبيبة بتطورها ، فاذا ما تحسبه رقياً نوعٌ من الهوس وضربٌ من الغرور . ويقيني أن ليس للفتاة من يعطف عليها عطف أمها وأبيها مهما بعدت بينها وبينهما شقة الثقافة والعلم . ومهما بلغ حب الفتاة لأبويها فانه يبقى دون حبهما لها ، ولكن قد يتلبس حب الأبوين بعقيدة لها في الحياة تختلف وعقيدة الفتاة فيبدو لها هذا الحب بغضاً وتحكما

واستبداداً . فاذا كان العلم والتهذيب لم يرفعا بروح هذه الفتاة إلى مرتبة الرقى الحقيق ولم ينيلاها من النور ما تكشف به الظلام عن بصيرتها وبصائر من حولها أخذت بالظواهر فانقلبت ثائرة تطمح إلى إقناع أهلها بالعنف معتقدةً أن من حقها وقد تعلّمت وجهلوا أن تصبح أماً لأبويها فلها الأمر وعليهم الطاعةُ العمياء

إن الفتاة التى لا يوصلها علمها وثقافتها إلى إقصاء الأوهام عن كل قديم وعن كل جديد ، وإلى الوقوف تجاه أهلها موقف من يحمل نوراً لا من يحمل ناراً ، لا تكون قد قطعت شوطاً بعيداً فى مجال الثقافة الحق

إن فى العالم اتجاهاً إلى التكامل بارتقاء الأنسال المتتالية ، وفى طبيعة الأبوين ما يجارى هذا الاتجاه بشعورهم الخفى بتفوّق أبنائهما ، وليس من كائن فى الأرض لا يقف فى نصف طريق حياته مدركاً أنه ضيّع الكثير من عمره ، فهو يؤمل أن يفوز أبناؤه بما فاته من الحياة . فاذا ما عرفت الفتاة هذا واستعانت على أبويها بحبهما لها ، فلا بد لها من استجلابهما إلى ما ترى إذا هى اتجهت إلى الصواب ولم تؤخذ من بهارج التجديد بما يقودها ويقود أهلها معها إلى الدمار

أما إذا كان الخلاف واقعاً من طموح الأهل إلى إرغام الفتاة فى اختيار الزوج ، فما أراه ، هو أن الآباء كانوا فى كل زمان يغالون فى حرصهم على مستقبل بناتهن فيتجاوزن بحق الاختيار الحدَّ الذى يتحصّن وراءه الاختيار الطبيعى الكامن فى فطرة الفتاة ، وعلى حرية هذا الاختيار تُبنى السعادة فى الزواج ويضمن إيجاد النسل الصحيح

وظاهرةُ هذا التحكم تصطدم اليوم بما تنبّه فى الفتاة من شعور وقد أصبحت تدرك مميزاتها الشخصية وتستجلى سريرتها . وما إخالنى قصّرتُ فى مقالى عن نهضة المرأة عند ما حملتُ فيه على هذا التحكم الذى وصفتُه تحكماً فى قضاء الله وقدره

إننى وأنا أدرك الأسباب التى تحدو بالآباء إلى الاهتمام بمستقبل بناتهنّ ، مقدراً هذا العطف وهذا الحنان قدرهما ، لا يسعنى إلا لفت هؤلاء الآباء إلى خطورة موقفهم فى هذا الأمر فأدعوهم إلى احترام الأمانة الضعيفة ولها رجاحتها فى الذمم ، كما أدعوهم أيضاً إلى التبصر فى عاقبة الزواج المبنى على الاكراه

أى أب يقدم على إكراه ابنته على الزواج بمن تنفر فطرتها منه ، إذا هو عرف أن حفيده من هذا الزواج سيجىء الحياة معتلاً بجسمه أو مختلاً بعقله . . .

وهل فى الشرق العربى اليوم من لا يزال يقول :

بنونا بنو أبنائنا وبناتُنا بنوهنّ أبناءُ الرجالِ الأباعد ؟

أيبتنا من لا يزال يعتقد وهو فى القرن العشرين أن الرجل هو مصدر الحياة وأن المرأة ليست إلا مستودعاً للجنين

لو يعلم القيمون المُكرهون أية جناية يأتون بتحكّمهم فى الفطرة التى لا يسع الفتاة نفسها أن تتحكم فيها لكانوا يرعوون عن غيهم ، إذ يتضح لهم أن وأد البنت فى الجاهلية كان أقل فظاعةً من وأدها فى زواج تموت فيه حيةً لتقذف الى الدنيا بأطفالٍ تتعثر الانسانية بهم فى سيرها نحو الرقى

غير أننى لا أعتقد أن فى هذه الأيام من هؤلاء القيمين الأغرار عدداً كبيراً ؛ وإذا كان هنالك بقية منهم ، فأننى لا أعتقد أن من فتيات اليوم من تستسيغ لهذا الضيم ، فان الفتاة المهذبة التى تشعر بشخصيتها لا يسهل على وليها أن يرغمها على الزواج بمن تكره ، وهى تعلم أن الشرع السامى لا يأخذ بالايجاب دون قبولها الصريح ، ولكن إذا كان الاكراه غير مباشر وكانت الفتاة تلجأ الى القبول بأى زوج للتخلّص من أهلها ، فانها فى هذا الموقف مشاركةٌ لهم فى جرمهم إذا هى تصنّعت الحب ، وتكلفت الاغواء تكلفاً لرجل يريد إدخال الحياة الى مسكنه فلا تدخل اليه إلا مبدأ الشقاء والموت

على الفتاة المثقفة فى مثل هذه الحال أن تجارى فطرتها وتتحصّن بحوافزها فلا تستسلم للتمثيل الدنىء ، لأنها إذا كانت مُرغَمةً على عدم النفور فلا شىء يرغمها على التظاهر بالحب والقبول لتسقط أبرياء فى شركٍ تكون هى الضحية الأولى فيه

ولكن هنالك من الرجال من غلظت رقابهم ، وانطمس شعورهم الى درجة لا يميزون فيها بين فتاة تميل اليهم وفتاة تنفر وتشمئز منهم . فويلٌ للمجتمع من مثل هؤلاء الرجال الذين تطفح فطرتهم بالشهوة وليس فى قلبهم من الحب إلا خياله الأسود . أولئك الذين طغت عليهم الأنانية حتى خيّل لهم أن كل فتاة يطلعون عليها بمنا كبهم العريضة وفى يدهم بعض المال وبعض الحلى تخر ساجدة

أمام بهائمهم وعظمة أقدارهم ، ويلٌ لبنات الأولياء المتغطرسين من رجل يحسب نفور الضحية حياء وازورارها دلالا

إن مثل هذا المخلوق لأشبه بالقابل الكهربائى لا بطّارية فيه ليحس باتصال الجهاز القابل به أو انصرافه عنه . وكم من رجلٍ فى القرن العشرين يذكّرنا برجل الكهف يترصد الأنثى على الطريق فيبدأ بقرع رأسها بحجر ليفقدها رشدها أولاً . . .

ولو عرف هؤلاء المغرورون عواقب اعتدائهم لا بتعدوا عمن تجول شهوتهم حولها لا رحمة بها ، وهم لا رحمة فيهم ، بل إشفاقاً على أنفسهم التى اتخذوها من دون الحق معبودا

لابدّ لنا ونحن فى موقف الباحث يشفق على المتدى فى جهله كإشفاقه على الضحية فى ضعفها ، من أن نشير ولو تلميحاً الى حقيقة أدى الجهل بها الى معظم هذه المصائب التى تقضى على الأسر وتهدّ من بنيان المجتمع

إن المرأة المُكرَهة فى زواجها لا تُضار فى جسمها ونفسها بقدر ما يُضار زوجها الباغى عليها ، لأن فى تكوين المرأة ما يساعدها على عزل قسطها من الايجاب فى وضعها السلبى ، فتقى خلاياها من أن ينفذ اليها ما هو ترياق لها فى حالة شوقها وما يصبح سمّاً زعافاً فى حالة نفورها كما لها أن تقى أعصابها أيضاً من الهزّة الشاذّة عن طبقتها فينزلق الاكراه عليها انزلاقاً ، وعندئذ تعمل الطبيعة عملها بردّ الفعل فى جسم الرجل ونفسه وهو لا يدرى ، فكأنه لاحس البرد يحس بالارتواء الكاذب وهو يشرب من دمه

ما أكثر من عرفت من هؤلاء الرجال الذين تزوجوا بالاغراء ، فقامت شهوتهم وأطماع الفتاة نفسها أو أطماع أهلها مقام الحب المتبادل ، فرأيتهم يباهون بزوجاتهم كأنهن تكملة للرياش الفاخر فى مساكنهم ، ثم تمرّ الشهور فاذا هم يجرّون أرجلهم جرا بعد أن كانوا يسيرون فى الأرض مرحا ، وإذا النور ينطفىء فى أحداقهم وحق الطبيعة يكتب على جباههم آية الفاشلين

ويلٌ لمن يخدع نفسه بمظاهر القبول ولا يبالى بايجاب مايشعر به كاملاً فى سريرة من يريدها شريكة لحياته وأماً لأطفاله ، إن هذا الرجل لأشبهُ بالتائه فى الصحراء يتوقّع فى كل مرحلة إرواء غليله من السراب يتوهج ماؤه ، يتباعد الى الآفاق كلما توهّم الوصول اليه

هذا ما نراه فى معضلة الاكراه الذى تشكو منه بعض فتيات البلاد ، وما نشأت هذه المعضلة إلا من أطماع المزوّجين وضعف المروءات فى المتزوجين

أما علاج هذا الداء فيسور بعد بيان ماتقدم بيانه إذا نفذت أشعة الحقيقة الى قلوب النواة والطامعين ، إذ لا يمكن أن يبصر عبيدُ الشهوات ما تفتح ضلالاتُهم من مهاوٍ تحت أرجلهم دون أن يرتدعوا عن الانتحار والقضاء على أنسالهم ، ولكنّ فى الحياة كثيرين ممن اتسمت أحداقهم ولكنهم عميٌ لا يبصرون

(تتمة البحث عن شبابنا وسبب اضرابهم عن الزواج وعن العلة فى بوار الفتيات فى مقال آخر)

(الاسكندرية) فيلكس فارس

سلسلة كتب حديثة كثيرة الحلقات :

بيان إلى الشعب العربى الكريم

عزمت مكتبة الفرات على إخراج سلسلة كتب حديثة كثيرة الحلقات تبحث أطوار الأدب والفن والشعر والقصة التمثيلية والرواية ، تخرج منتظمة كالمجلة وإن لم يكن لها منها مواعيدها واشتراكاتها ؟ يقوم على تحرير هذه السلسلة أديب عرفه الأدب وعرفته الصحافة الأدبية : الأستاذ منير نصرى أستاذ اللغة العربية فى التجهيز

وإنا لنرجو أن تكون عند حسن الظن بقصدنا ، وعند حسن القبول بعملنا ، والله ولى التوفيق

(دير الزور) مكتبة ومطبعة الفرات

لا تنسوا أن تطلبوا سلسلة البدائع عند صدورها لأنها نفحة جديدة من الأدب الجديد المحب الجامع بين الثقافة الغربية والثقافة الشرقية ...
البدائع تامة فى تعريف المذاهب الأدبية والفنية ...
البدائع تحمل من الأدب رسالة شاملة يتناولها كل من يحب الثقافة ...